نحن في حوار الثقافات

د. حسين المناصرة *

علينا أن نقرر، منذ البداية، أننا نعيش في عالم ينبغي أن يكون منفتحاً ومتساهلاً في ظل العولمة ذات الحدين المطمئن والاستعماري، وهي عولمة تحتاج منا دوماً إلى أن نشرع أبوابنا بمصداقية وشفافية حذرة تجاه الحوار والتفاهم مع ما حولنا؛ لأن عالمنا كله غدا بفعل الانفجار المعرفي والتواصلي أشبه بقرية إلكترونية صغيرة يمكن أن نتعرف إلى تفاصيلها في لحظات، ولم يعد هناك إمكانية للخصخصة والانعزال في أمور تخص العالم كله، ولم تكن حضارتنا، ومعتقداتنا، وأدبياتنا تسمح في يوم من الأيام أن نعيش في معزل عن هذا العالم الذي ننتمي إليه، شئنا ذلك أم أبينا، وأنه لا يحق لنا أن ننعزل بفعل هيمنة عرقية أو دينية أو ثقافية؛ لأننا حينئذ سنصبح هدفاً لكل رام ومغرض، وعلينا أن نعرف أن هناك جهات معادية معنية دوماً بأن تحيدنا وتبعدنا وتسيء إلى سمعتنا ومنجزاتنا، وتعمل على الحجر علينا، باسم الإرهاب أو غيره، ولعل أهم عدو يسعى بشره إلى إيقاعنا في نمطية هذه الصورة السلبية هو «الكيان الصهيوني» في الدرجة الأولى؛ إذ إنه معني قبل غيره بإعلان الحرب علينا، وعلى ثقافتنا، وعلى وجودنا، ومن ثم فهو معني بإبراز الظروف التي تسهم في عزلنا أو وصفنا بالإرهاب أو التخلف، أو فتح جبهات من العداء والصراع بيننا والآخرين، وبذر بذور الشقاق والتشرذم فيما بيننا على طريقة فرق تسد؛ إذ إن وجود هذا الكيان الاستعماري العنصري في فلسطين قائم أساساً على هذا النهج؛ لذلك ينبغي أن نظهر دوماً فكراً وممارسة بأننا على علم بمخططات هذا الكيان المعادي، وأننا جزء من حميمي في حوار الحضارات والثقافات والأديان والتواريخ والأعراق.. وكل من شأنه أن يجعل الشخصية العربية الإسلامية شخصية حضارية في وجودها وتدينها، وثقافتها، ووعيها، إنسانيتها.. دون نسيان أن هذه الشخصية تعاني كغيرها في العالم كله أمراضاً جمة، وأنها تحتاج دوماً إلى معالجة حكيمة ومتروية لأمراضها المزمنة والطارئة!!

سنجد في ظل حواراتنا الفعلية المتنوعة مع الآخر، أن هناك من يسعى وسيسعى إلى إفشال هذا الحوار، وإلى إبقاء الصورة النمطية للعربي قارة في أنه شخصية غازية وإرهابية ومتخلفة، ويهدف هذا العدو إلى تضليل العالم وجره إلى الهاوية... وللأسف سنجد منا وفينا من يسعى إلى تشويه أية علاقة حوارية لنا مع الآخر، وذلك كأن نجد أعمالاً إرهابية تنفشى باسم الدين، قد لا يكون منتجها وفاعلها من بين العرب أو المسلمين، ولكنه تلصق بنا فتعمم على الكل؛ لأن هناك - كما أسلفنا- من هو معني بإيجاد هذا الفعل القبيح والشرير في ثقافتنا، وهو ما يسهم في إيجاد صورة سلبية عن شخصيتنا، ومن ثم لن تكن هناك

■ على جميع المشاركين في الحوار العالمي أن يشرعوا أبوابهم لحوار صادق بعيد عن الألغام التي يمكن أن تعطله.

* أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود.

مصداقية في حال حوارنا مع الآخر، على الأقل من منظور هذا الآخر.

بكل تأكيد؛ تنطلق جهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في الحوار بين الحضارات من منظور ضرورة الإيمان بالتنوع الثقافي والحضاري بين الأمم، وذلك من وعي حتمية هذا الحوار الذي لا بديل عنه؛ لأنه بنية إستراتيجية بين الأمم والشعوب من جهة، والوسيلة الوحيدة للضرب بيد من حديد على أعداء الحضارة والإنسانية والمثاقفة من جهة أخرى، وهو الوسيلة الأكثر قدرة في الكشف عن الممارسات العنصرية والاستعمارية والإجرامية التي يمارسها الكيان الصهيوني في فلسطين، ومن ثم فإن هذا الانفتاح على العالم هو الوسيلة الأكثر تعرية للكيان الصهيوني المعني أكثر من غيره بتشويه صورتي الثقافة العربية والحضارة الإسلامية في بقاع العالم المختلفة؛ ليحظى هذا الكيان الغاصب بصورة ثقافية عدوانية عنصرية مسكوت عنها على الرغم من كونها مزورة؛ تدعي أنها غير متوحشة، يضع فيها هذا العدو نفسه حليفاً للعالم الحضاري في مواجهة الإرهاب أو غيره، عندما يسعى هذا الكيان إلى أن يجعل العرب أو المسلمين مجرد إرهابيين متخلفين دمويين، كما رسمت صورتهم بعد ١١ سبتمبر، علماً بأن هذه الحادثة ليست ببعيدة عن كونها صناعة صهيونية في المحصلة.

إن الحوار بين أتباع الأديان والثقافات قيمة حضارية كبرى؛ لا يمكن الاستغناء عنها في أي وقت، فكل الأديان - مهما كانت أهدافها ووسائلها - ينبغي أن تكون على علاقة حوارية حميمة فيما بينها؛ انطلاقاً من كون هذا العالم يحتاج إلى أن تقام فيه جسور التلاقي والتكاتف والتصالح، والابتعاد عن الحروب وسرقة حقوق الآخر، وأن هذا العالم المليء بالأوبئة والأمراض والتناحر يحتاج إلى أن يجسد الرحمة والتواصل فيما بين أجزائه وتنوعاته، وألا يكون متوحشاً أو جلاداً ضد قيم الحياة الإنسانية؛ حتى لا يحقق رغبة أعداء الأمة المتربصين في سياق الصراع العربي - الصهيوني، هذا الصراع الذي ما زال - على أية حال - عقدة العقد؛ لأن البعد السياسي - العسكري فيه هو الذي يشكل التحالفات تجاه المنطقة (الوطن العربي)، إذ يصبح هذا البعد وسيلة رئيسة في رسم خارطة الصراع (مع الكيان الصهيوني أو ضده)، ولا يمكن أن يكون هناك استقرار وأمن في المنطقة ما دام هذا الكيان يحتل فلسطين، ويستلب حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه وأرضه وتقرير مصيره؛ بل إنه احتلال يمارس القتل والحصار والتشريد، ويسعى بكل «وقاحة» إلى أن يجد له موطئ قدم في الحوار والتعايش: بمعنى أنه يريد الاستيطان والاستلاب وامتلاك آلة الدمار العسكرية، وفي الوقت نفسه يسعى إلى فرض وجوده بوصفه طرفاً معنياً بالتعايش أو الحوار أو التطبيع في المنطقة في أسلوب من أساليب السخرية السوداء على أية حال.

مبادرة خادم الحرمين الشريفين تنطلق من ضرورة التنوع الحضاري والثقافي بين الأمم.

إن هذه الأوهام والتخريفات الصهيونية هي التي لا يمكن أن يقبل بها العرب والمسلمون والإنسانيون، مهما حاول هذا الكيان الصهيوني لبس أقنعة السلام والحوار وغيرهما، ومهما حاولت ألاعيبه وخططه في جعل الفلسطينيين أو العرب أو المسلمين هم المسؤولين عما يحدث في المنطقة من أخطاء وحروب مدمرة، ومهما حاول أن يجند تحالفات استعمارية موجهة إلى نحورنا. وعلينا أن نفهم بأن أي إرهاب أو أي تشرذمات سياسية وعسكرية تحدث في الوطن العربي؛ هي في المحصلة صناعة صهيونية بطريقة أو بأخرى، ولا تخدم الأمة مهما كانت أهدافها الظاهرية أو الباطنية، وأن من يتورطون في الانشقاق والتشرذم فلسطينياً أو عربياً أو إسلامياً؛ هم ضحية عمياء للمخطط الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في المنطقة.

لذلك لا نستغرب أن تكون المشكلة الرئيسة أو العقبة شبه الوحيدة في أي حوار ديني أو ثقافي أو سياسي أو إنساني عالمي هي من نتاج اغتصاب الكيان الصهيوني لفلسطين بالنسبة إلى أمتنا؛ لأن هذا الوجود إفراز لاستعمار شرس، واحتلال استيطاني، وسيطرة على أرض عربية، واغتصاب لحقوق شعبنا التي لن يفرط بها أو يتنازل عنها، إضافة إلى أن هذا الكيان معني بأن يجعل المنطقة في حالة حرب دائمة؛ حتى يتسنى له التخلص من تناقضاته الداخلية وفساده التاريخي. وفيما لو لم يكن لدينا هذا الكيان في منطقتنا، والذي تسعى جهات عديدة محلية وعالمية من ذاتها أو هو من يسخرها إلى عنكبته في أحشائنا كورم سرطاني لا يمكن الخلاص منه، والمطلوب أن نتعايش مع هذا الورم القاتل، حتى لو استشرت فايروساته في المنطقة كلها ورفض أن يتعايش معنا وَفْق منطقية التعايش المقبولة في أدنى درجاتها... وعلى سبيل الافتراض؛ لو لم يكن لدينا هذا الكيان لما كانت هناك أية مشكلة بيننا والآخر الأمريكي أو الأوروبي أو الإفريقي أو الآسيوي أو غيرهم.

ومع ذلك لابدّ من أن يبقى الحوار ضرورة حضارية بين الثقافات والأديان والأمم، ولا بدّ من أن يكن حوارنا مع الآخر - مهما كان - ضرورة حياتية وحضارية وإنسانية، وأن نؤمن بأن لدينا من المقومات المتنوعة ما يجعل ثقافتنا وديننا ومنجزنا التاريخي قادراً على أن يكون محاوراً ذا قيمة إستراتيجية وحضارية محورية في أي ملتقى ثقافي حواري، أن نكون مبادرين إلى الحوار والمثاقفة والتعاون والانفتاح لنقطع الطريق على كل الذين يسعون إلى تهميشنا أو تشويه صورتنا بأفعالهم الدنيئة؛ سواء أكانت هذه الأفعال ترتب باسم الأعداء أم باسم الدين أم القومية أم القبلية أم غيرها.

إذن؛ لا مشكلة بيننا وأية ثقافة أخرى أو حضارة أخرى أو كيان آخر... مشكلتنا أولاً في ذاتنا المترهلة بطريقة أو بأخرى، ثم في وجود الكيان الصهيوني المرضي في منطقتنا بصفته الاستعمارية الاستيطانية العنصرية، وما يفرضه هذا الوجود من تحالفات، ومناطقية سياسية، واجتياحات عسكرية، لا تتيح للأمة أن تتوحد؛ لتواجه الآخر بصوت واحد مدعّم مادياً ومعنوياً.

■ الحوار بين أتباع الأديان قيمة حضارية كبرى لا يمكن الاستغناء عنها خاصة في هذا العصر.